دراسةٌ تحليليةٌ للآيات الأُولى الثّلاثِ من سورة الُممتحنة

م.م خالد عيفان إسماعيل

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العلم ميراث الأنبياء، وجعل وارثيه هم العلماء، الذين هم أكثر الناس خشية لربهم وأعرفهم به، ولذلك شرفهم ربهم بأرفع المقامات، وأعلى الدرجات، نحمده سبحانه أن جعل العلم سبيل العارفين، ومنار السالكين، ونوراً وهدى للعالمين، وهادياً إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، نسب العلم لذاته العليّة فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ **البقرة: ٢٣١**، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، معلّم الناس الخير، من بعثه الله بالعلم والهدى والنور رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن خير ما صرفت وتصرف فيه الجهود، ووقفت وتُوقف لأجله الأعمار، هو خدمة كتاب الله عز وجل، تفسيراً وشرحاً وبياناً وإيضاحاً، ولهذا أفنى جهابذةٌ من العلماء أعمارهم في خدمة كتاب الله، فنعم ما صنعوا، إذْ تفننوا في تنويع علومه، فمنهم من اهتم ببديعه وبيانه وبلاغته وفصاحته، ومنهم من اهتم بأسلوبه وتركيبه وأوزانه وإعرابه، ومنهم من اهتم بأحكامه، وتشريعاته وحلاله وحرامه، ومنهم من اهتم بناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه ومقيده ومفصله ومجمله، ومنهم من اهتم بقصصه وأخباره

وعبره وعظاته، ومنهم من اهتم بجوانبه الإجتماعية والتربوية، فعالج من خلال القران الكريم واقعه، ومع هذا فالقرآن لا يَخْلَقُ على كثرة الرد، لكونه المعجزة الخالدة المناسبة لكل الدهور والأزمان، فعلومه غير متناهية، وفيه من العلوم ما يناسب كل عصر ويلائم كل مِصر.

مما يزيدني شرفاً أن أقتفي سبيل هولاء العلماء، مع ضعف قوتي، ووهن عضدي، وقلة زادي، إنما لأجل الدربة في فن التفسير، والفرار من قول الرسول عليه الصلاة والسلام لربه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ **الفرقان**، وآثرت أن أجري هذا البحث على جانب من الجوانب المهمة التي جاء الإسلام للحفاظ عليها، ولتقويم سلوكياتها، فرأيت أن يكون موضوع بحثي (دراسة تحليلية للآيات الثلاث الأول من سورة الممتحنة) وذلك لاشتمالها على جملة من مشكلات يعانيها المجتمع في واقعنا، حيث أنها محل لنظر الإسلام عليها، وكيف أعطاها الاهتمام الأكبر، لذلك أنزل الله عز وجل الآيات ليبين لنا كيفية التعامل مع ما يواجهه المجتمع من مشكلات، فذكر الله تعالى لنا بعضاً من هذه الصور في كتابه الكريم، ليبين لنا أن مثل هذه المشكلات لا يكاد يخلو منها أي عصر من العصور إلى قيام الساعة، ومهما يكن فإنه يجب علينا أن نعرف طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام في معاملته ومعالجته هذه الأمور، وأن نجعله ﷺ هو النموذج الأرفع، والطراز العالي، ولو تمسكنا بهذه القدوة لما اختلف منّا اثنان في طريق، ولما أصاب الأمة وهن أو هوان، حيث إننا قد جعلنا القران كتابنا والرسول عليه الصلاة والسلام قدوتنا.

ويمكن أن أجمل أهمية البحث وسبب اختياره في اشتماله على مواضيع مهمة يحتاجها مسلمو العصر ودعاته أشد الاحتياج حاولت أن أبين شيئاً منها.

وتحقيقاً للفائدة فقد بدأت بعد توفيق الله عز وجل بكتابة بحث تحليلي يتناول ثلاث آيات الأُول من سورة الممتحنة، وبعد التوكل عليه جل ثناؤه شرعت بجمع المعلومات من مظانِّها، ثم صار البحث على هذه الصورة المتواضعة التي بين يدي

القاريء المكرم متكوناً من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وكان تقسيم البحث كالآتي :

●المقدمة: تناولت فيها تقديماً بسيطاً، ثم أهمية وسبب اختيار البحث، ثم طريقة تقسيم البحث، ثم الصعوبات التي واجهتها في إنشائه.

●التمهيد: وفيه عرضت المنهج الذي سلكته في البحث .

●المبحث الأول: واشتمل على مطلبين كل منهما فيه ثلاثة أقسام، تناولت في هذا المبحث إسم السورة التي احتوت الآيات موضوع البحث من حيث اللغة والإصطلاح، ثم بيان كونها مكية أم مدنية، ثم اسباب نزول الآيات ، ثم تناسبها، ثم ما جاء فيها من القراءات.

●المبحث الثاني: ويشتمل على ثلاثة مطالب، عرضت فيه معاني مفردات الألفاظ، ثم الوجوه الإعرابية، ثم تناولت فيه الوجوه البلاغية للآيات.

●المبحث الثالث : وفيه بينت المعنى العام للآيات، ثم عرضت ما رأيته يصح أن يكون درساً يستفاد من فهم الآيات، ثم نقلت الأحكام التي ذكرها العلماء بصدد الآيات وبينت ما أميل إليه من الآراء.

●الخاتمة: وفيها عرضت ما توصلت إليه من نتائج خلال البحث.

لا أنكر أنني واجهت صعوبات في إنشاء هذا البحث المتواضع، وأول الصعوبات كثرة ما يرد على الذهن من مواضيع تحتاج إلى تجلية الامر الذي يجعل الباحث في حيرة لاختيار الأهمّ، كذلك ضيق الوقت وصعوبة الحصول على المصادر، الأمر الذي جعل البحث بهذه الصورة البسيطة، مع هذا كله فإنني قد وجدت فائدة عظيمة عسى أن أكون قد استفدت منها، وهي الإطلاع على مختلف المصادر، ثم زيادة التصور الإيجابي لهذا الدين العظيم وغيرها من الفوائد.

والله تعالى أسأل أن يجعل من هذا العمل في ميزان حسناتي، وأن ينزل من شآبيب رحمته ورضاه على من كان السبب فيه، وما كان فيه من قصور فكما أسلفت

فهو طاقتي البشرية التي لا تخلو من القصور، وما كان فيه من جودة وحسن فمن توفيق الله تعالى ثم مما تعلمناه من مشايخنا وأساتذتنا الكرام .

وصلى الله تعالى على معلم هذه الامة الخير محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

التَّمهِيد

الآيات التي تناولتها في هذا البحث هي من الآيات المتعلقة بموضوع من أهم المواضيع في المجتمع الإسلامي، وهو موضوع الولاء والبراء، الذي يشتمل على مفاصل أو مقدمات منها الحب والبغض، التي تنعكس بالتالي على طريقة التعامل في المجتمعات، بغض النظر عن كون هذه المجتمعات إسلامية أو غير ذلك، ووفقاً لهذه التعاملات تكون هنالك أحكام لكل مجتمع لتنظيم هذه التعاملات لا يصح تجاوزها أو الإخلال بها، لأنه سيكون سبباً في اختلال التوازن الاجتماعي.

وعودٌ على بدء فالآيات التي هي موضوع البحث تتناول موضوعاً له العلاقة الوثيقة بأسباب الإرتقاء أو العكس في المجتمع الإسلامي، والإسلام هو دين العدل والإنصاف، حيث لا شك في ذلك، والله تعالى الذي أوجد الوجود وارتضى له الإسلام ديناً، أنزل له دستوراً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى قيام الساعة، ينظم كل تعاملات الفرد المسلم سواء أكانت مع نفسه أم أهله أم المجتمع، وبالتالي يصل إلى كيفية تصحيح العلاقة مع خالقه، ولكي أخرج بحصيلة يتبين للقاريء المكرم من خلالها المعاني التي قصدتها آنفاً، فقد كان المنهج الذي سلكته في البحث متمثلاً بالآتي:.

- عزوت الآيات إلى مواضعها من سور القران الكريم، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.
- خرّجت الأحاديث الواردة في البحث من كتب الحديث .
- حصرت أقوال العلماء بين أقواس معقوفة وعزوتها إلى قائليها في الهامش .
- ترجمت لبعض الأعلام .

- اتبعت أسلوب الإختصار في العبارات، ذلك أن البحث لا يحتمل الإطالة .
- تصرفت بيسر في بعض النصوص، بما يتناسب مع موضوعات البحث، وأشرت إلى ذلك في الهامش .
- وضعت الفهارس الشاملة لكل مفاصل البحث .
- جعلت الهوامش مجتمعة في نهاية البحث وفقاً لما يقتضيه نظام النشر في المجلة.

المبحث الأول

بين يدي آيات السورة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

خواص السورة التي تشتمل الآيات

وفيه ثلاثة أقسام:

أولاً: اسمُهَا فِي اللُّغَةِ

للعلماء أقوال في معنى إسم السورة من الجانب اللغوي، وذلك تماشياً مع مضمون السورة أو سياق آياتها، وسأتناول بعد توفيق الله بعض هذه الأقوال:

ذكر الإمام ابن منظور رحمه الله في اللسان أنها تأتي بمعنى اختبار الشخص والنظر في فعله ومجازاته عليه، حيث قال في مادةِ (مَحْنٌ): [المِحْنة الخِبْرة، وقد امتَحنه وامتَحن القولَ: نظر فيه ودَبَّره، التهذيب: إن عُتْبة بن عبدٍ السُّلَمي وكان من أَصحاب سيدنا رسول الله ﷺ، حَدَّث أَن رسول الله ﷺ قال: (القَتْلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهَدَ بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العَدُوَّ قاتَلَهم حتى يُقْتَل، فذلك الشهيد المُمْتَحَن، في جنة الله تحت عرشه)[1] [2]، وذهب ابن منظور رحمه الله أن (المَحْنُ) يأتي على معانٍ أخرى حيث قال: [ومَحَنْتُه وامتَحَنتُه، بمنزلة خَبَرْتُه واختبرته وبَلَوْتُه وابتَلَيْتُه، وأَصل

المَحْنِ: الضَّرْبُ بالسَّوْط، وامتَحَنتُ الذهب والفضة إذا أَذبتهما لتختبرهما حتى خَلَّصْتَ الذهب والفضة، والاسم المِحْنة والمَحْنُ: العطية، وأَتيتُ فلاناً فما مَحَنَني شيئاً أَي ما أَعطاني، والمِحْنة: واحدة المِحَنِ التي يُمتَحَنُ بها الإِنسانُ من بلية، نستجير بكرم الله منها، وفي حديث الشَّعْبي: المِحْنة بِدْعَة[٣]، هي أَن يأْخذ السلطانُ الرجلَ فيَمْتحِنه ويقول: فعلت كذا وفعلت كذا، فلا يزال به حتى يقول ما لم يفعله، أَو ما لا يجوز قوله، يعني أَن هذا القول بدعة، وقولُ مُليح الهُذَليّ:

وحُبُّ ليلى ولا تَخْشى مَحُونتَه صَدْعٌ لنَفْسِكَ مما ليس يُنْتقَدُ[٤].

كما نقل ابن منظور قولاً لابن جنّيّ أظهر فيه معانٍ أخرى تزيد من وضوح معنى اللفظة، وكذا نقله ابن سيده في محكمه[٥]، قال ابن منظور: [قال ابن جني: مَحُونته: عاره وتِباعَتُه، يجوز أَن يكون مشتقّاً من المِحْنَةُ، لأَن العارَ من أَشدِّ المِحْن، ويجوز أَن يكون مَفْعُلة من الحَيْنِ، وذلك أَن العار كالقتل أَو أَشد، الليث: المِحْنة معنى الكلام الذي يُمتحَنُ به ليعرف بكلامه ضمير قلبه، تقول: امتحَنْتُه وامتَحنْتُ الكلمة، أَي نظرت إِلى ما يَصِيرُ إِليه صَيُّورُها، والمَحْنُ النكاح الشديد، يقال مَحَنها ومَخَنها ومسَحَها إِذا نكحها، ومَحَنه عشرين سَوْطاً ضربه، ومحن السَّوْطَ لَيَّنَه، المُفَضَّلُ: مَحَنْتُ الثوبَ مَحْناً إِذا لبسته، حتى تُخْلِقه، ابن الأَعرابي: مَحَنْته بالشَّدِّ والعَدْو، وهو التليين بالطَّرْد والمُمْتحَن والمُمَحَّص واحد، أَبو سعيد: مَحَنْتُ الأَديم مَحْناً، إِذا مددته حتى توسعه، ابن الأَعرابي: المَحْنُ اللَّيِّنُ من كل شيء، ومَحْنت البئر مَحْناً، إِذا أَخرجت تُرابها وطينها][٦].

وفي هذا المقام أضع بين يدي القارئ الكريم أقوالاً لبعض علماء اللغة الّذين تناولوا اللفظة وما ترتب على هذه اللفظة من معانٍ، إذ عرّفها أبو الحسن الأزدي رحمه الله في جمهرته بأنها بمعنى الابتلاء الذي يقع على المرء سواء أكان ذلك الابتلاء من الله عز وجل أم ممّن يليه، حيث قال: [والمَحْن: فعل ممات واستُعمل منه: امتحنته امتحاناً، وأصابته مِحَن من الدّهر، أي بلاء وشدائد، وفي التنزيل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ الحجرات: ٣، كأن المعنى فيه: ابتلاهم، والله أعلم، من قولهم: بَلَوْتُ الرجلَ، إذا اختبرته][٧].

وذهب ابن فارس رحمه الله إلى أنها تأتي على معان ثلاثة، فقال: [محن: الميم والحاء والنون كلماتٌ ثلاثُ على غير قياس: الأولى: المَحْن: الاختبار، ومَحَنَه وامتحنه، والثانية: أتيتُه فما مَحَنني شيئاً، أي: ما أعطانيه، والثالثة: مَحَنه سَوطاً: ضربَه][٨] .

[محن (م ح ن) : المِحْنَةُ واحدة المِحَنِ التي يمتحن بها الإنسان من يليه، ومَحَنَهُ من باب قطع، و امْتَحَنَهُ اختبره والاسم المِحْنَةُ][٩] .

[وقال الليث: المحنة معنى الكلام الذي يُمْتَحَنُ به ليُعرف بكلامه ضميرُ قلبه، تقول: امتحنْتُه، وامتحَنْتُ الكلمةَ إذا نظرتَ إلى ما يصير إلَيْهِ صَيُّورُها، وقال غيره: بالسوْطِ ، روى أبو عبيد عن الأمَوِيّ: مَحَنْتُه عشرين سوطاً مَحْناً إذا ضربتَه][١٠] .

مما سبق من عرضٍ لأقوال أهل العلم فيما يتعلق بالمعنى اللغوي للفظة (مَحْن) يتبيّن لي أنها تدلّ على تمرير الشيء بحالة من الشدة والقوة وتجليته والوصول الى حقيقته، كذلك تأتي بمعنى الابتلاء والاختبار والامتحان لبني البشر ليتبيّن ما بداخلهم أو لتجلية ما يُكنّوون في داخلهم، وقد تأتي بمعنى الضرب بالسوط لنفس السبب آنف الذكر، وقد كنت أرى جدي رحمه الله تعالى وأنا في صغري يأخذ أغصاناً غليظةً من شجرة (الصفصاف) ثم يتركها فترة تحت أحجار لتجف مستقيمةً ثم يقطعها على أطوال متساوية ثم يقوم بعد ذلك ببريها بِسِكِّيْنٍ لتكون مدببة من الأمام ليثبتها في الأرض كأوتاد يربط بها حبال مواشينا، وكان يسمّي هذه الحالة . البري . بـ (المَحْن).

ثانياً: اسمُهَا فِي الإصْطِلاحِ

تنوعت أقوال العلماء في أسماء السورة، وذلك تبعاً لما جاء في سياق الآيات، وسأنقل أقوال بعض العلماء التي وردت بهذا الخصوص، فهذا الإمام الفيروز آبادي رحمه الله بيَّن أن السورة لها ثلاثة أَسماء: سورة الممتحنة، وسورة الامتحان، وسورة

المَـوَدّة، وعلـل سـبب تسـميتها بالممتحنـة والامتحـان ذلـك أن كلاهمـا بقولـه فيهـا: ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ﴾ الممتحنـة:١٠، وسـبب تسـميتها بسـورة المَـوَدّة لقولـه تعـالى: ﴿تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ الممتحنـة:١ وقولـه:﴿ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾الممتحنـة:١، وقوله:﴿بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةً ﴾الممتحنة:٧ [١١].

وكان لصاحب تفسير روح البيان . رحمه الله . تفصيلاً فيما يتعلق باسم السورة إذ أشـار أن أسـم السـورة مـأخوذ عـن قـول الله تعـالى فيهـا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ﴾الممتحنـة:١٠، فقال رحمـه الله: [أمر الله المؤمنين هنـاك بالامتحان، فهم الممتحِنون بكسر الحاء مجاز للمبالغة، وأضيفت السورة إليها، وسميت بسورة الممتحنة، مثل سورة الفاتحة، قيل إن إضافة السورة إلى الفاتحة من قبيل إضافة العام إلى الخاص، ولا بُعْد أن تكون من قبيل إضافة المسمى إلى اسمه، مثل كتاب الكشاف، فإن الفاتحة من جملة أسماء سورة الفاتحة، وقس على ذلك سورة الممتحنة، ويحتمل أن يكون المراد الجماعة الممتحنة، أي المأمور بامتحانها، ويؤيده ما روي: أنه قد تفتح الحاء فيكون المراد النساء المختبرة، فالإضافة بمعنى اللام التخصيصية، أي سورة تذكر فيها النساء الممتحنة، مثل سورة البقرة وأمثالها، ويحتمل أن يكون مصدراً ميمياً بمعنى الامتحان، على ما هو المشهور من أن المصدر الميمي وأسماء المفعول والزمان والمكان فيما زاد على الثلاثي تكون على صيغة واحدة، أي سورة الامتحان مثل سورة الإسراء وغيرها][١٢]، وهو تفصيل يستحق الوقوف عنده والتأمّل فيه.

ولصاحب تفسير التحرير والتنوير رحمه الله نصيباً في بيان تعلق اسم السورة بمحتواها: [عرفت هذه السورة في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف بسورة الممتحنة، قال القرطبي: والمشهور على الألسنة النطق في كلمة الممتحنة بكسر الحاء، وهو الذي جزم به السهيلي، ووجه التسمية أنها جاءت فيها آية امتحان إيمان النساء اللاتي يأتين من مكة مهاجرات إلى المدينة، وهي آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ﴾، إلى قوله: ﴿بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ ﴾ الممتحنة:١٠، فوصف

الناس تلك الآية بالممتحنة لأنها شرعت الامتحان، وأضيفت السورة إلى تلك الآية، وقال السهيلي: أسند الامتحان إلى السورة مجازاً، كما قيل لسورة براءة الفاضحة، يعني أن ذلك الوصف مجاز عقلي، وروي بفتح الحاء على اسم المفعول قال ابن حجر: وهو المشهور أي المرأة الممتحنة على أن التعريف تعريف العهد والمعهود أول امرأة امتحنت في إيمانها، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط امرأة عبد الرحمن بن عوف][١٣].

من زاوية أخرى يرى بعض العلماء أن المشهور في تسمية السورة إما بفتح الحاء هكذا: ((المُمْتَحَنَة)) وعلى هذا فهي جاءت صفة للمرأة التي نزلت بسببها، أو صِفة للسورة فيما لو كان الاسم بكسر الحاء هكذا: ((الْمُمْتَحِنَة)) كما قيل لبراءة: الفاضحة، وفي جمال القراء تسمى أيضا الأمتحان وسورة المودة[١٤] .

على اختلاف أقوال العلماء في إسمها، فإنني أميل إلى القول بأن الإسم الذي يناسب السورة هو (المُمْتَحِنَة)، الذي هو صفة السورة، وما دفعني لترجيح ذلك هو أن السورة بتمامها تتحدث عن امتحان الفرد والجماعة والمجتمع الإسلامي، بشتى انواع الإمتحان أو الإختبار، غير أن من العلماء اختار أن يسمّيها في مؤلفه بـ (المودّة) أو غير ذلك كما مرّ[١٥].

ثالثاً: بَيَانُ كَوْنِهَا مَدَنيّةٌ أَم مَّكّيّةٌ؟

سورة الممتحنة من السور المدنية، حسبما ظهر من تظافر أقوال العلماء بمدنيتها، حيث قيل أن: السّورة مدنيّة بالاتِّفاق[١٦]، وآخرون ذهبوا إلى أن ابن عباس وابن الزبير رضي الله تعالى عنهما قد أطلقا القول بمدنيتها، وذكر بعضهم أن أولها نزل يوم فتح مكة، فكونها مدنية إما من باب التغليب، أو مبني على أن المدني ما نزل بعد الهجرة[١٧]، وقيل أنها من قبيل ما نزل بالمدينة وحكمه مكي، فهي نزلت المدينة مخاطبة لاهل مكة[١٨]، وذكر الإمام السيوطي في تفسيره تأكيداً على مدنية السورة: [وقال أبو الحسن بن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ: المدني باتفاق عشرون سورة والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكي باتفاق، ثم نظم في ذلك أبياتاً فقال:

وبعد هجرة خير الناس قد نزلت عشرون من سور القرآن في عشر
فأربع من طوال السبع أولهـا وخامس الخمس في الأنفال ذي العبر
وتوبة الله إن عدت فسادســة وسورة النور والأحزاب ذي الذكر
وسورة لنبي الله محكمـــة والفتح والحجرات الغر في غـرر
ثم الحديد ويتلوها مجادلـــة والحشر ثم امتحان الله للبشـــر[١٩]
وسورة فضح الله النفاق بهـا وسورة الجمع تذكار لمدكـــر
وللطلاق وللتحريم حكمهمـا والنصر والفتح تنبيها على العمـر
هذا الذي اتفقت فيه الرواة لـه وقد تعارضت الأخبار في أخر][٢٠]

المطلب الثاني

خواص الآيات

وفيه ثلاثة أقسام:

أولاً: سَبَبُ نُزُولِ الآياتِ

معلوم أن الله تعالى أنزل هذا القرآن الذي بين أيدينا ليكون دستورنا الذي نرجع إليه، وقد تنزل هذا القرآن معالجاً للقضايا التي تمر بها أمة محمد عليه الصلاة والسلام، منذ بعثته وحتى قيام الساعة، والآيات التي أنا بصدد دراستها هي من هذا القبيل، وقد تبين لي أن العلماء مجمعون على أنها نزلت في (حاطب بن أبي بلتعة)[٢١] رضي الله عنه، يؤكده ما جاء عن الإمام الواحدي رحمه الله أنه قال: [قال جماعة من المفسرين: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة][٢٢] .

وجمعاً بين الاختصار والشمول، وتحاشياً للسرد والتطويل، سأذكر ما ورد في صحيح مسلم بخصوص قصة حاطب رضي الله عنه، حيث جاء فيه: [عن عبيد الله بن أبي رافع . وهو كاتب علي . سمعت علياً رضي الله عنه وهو يقول: بعثنا رسول الله

ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال ائتوا (روضة خاخ)[٢٣] فإن بها (ظعينة)[٢٤] معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا (تعادى بنا خيلنا)[٢٥]، فإذا نحن بالمرأة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من (عقاصها)[٢٦]، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرءاً (ملصقاً)[٢٧] في قريش، (قال سفيان: كان حليفاً لهم ولم يكن من أنفسها)، وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال النبي ﷺ: صدق، فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأنزل الله عز و جل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ الممتحنة: ١][٢٨].

ثانياً: تَناسُبُ الآياتِ

ذكر العلماء وجوهاً كثيرة لتناسب آيات السورة مع ماقبلها وما بعدها، وسأكتفي بذكر ما جاء عن تعلق الآيات بما قبلها، أما تعلقها بما بعدها فظاهر عندي أن الآيات تتكلم في موضوع واحد، وكأنها وحدة واحدة، فقد قال الإمام الرازي رحمه الله: [اعلم أن من جملة ما يتحقق به التعلق بما قبلها هو أنهما يشتركان في بيان حال الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع الحاضرين في زمانه من اليهود والنصارى وغيرهم، فإن بعضهم أقدموا على الصلح، واعترفوا بصدقه ومن جملتهم بنو النضير، فإنهم قالوا والله إنه النبي الذي وجدنا نعته وصفته في التوراة، وبعضهم أنكروا ذلك وأقدموا على القتال، إما على التصريح وإما على الإخفاء، فإنهم مع أهل الإسلام في الظاهر ومع أهل الكفر في الباطن][٢٩].

كما أن [مناسبتها لما قبلها أنه ذكر فيها قبل موالاة الذين نافقوا للذين كفروا من أهل الكتاب، وذكر في هذه نهي المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء، لئلا يشابهوا المنافقين][٣٠]، حيث افتتحت بوصية المؤمنين في عدم موالاة أعدائهم ونهيهم عن ذلك، وأمرهم بالبراءة منهم، وهو قريب وموافق للمعنى الوارد في قوله في خاتمة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾المجادلة: ٢٢، [وقد حصل منها أن هذه أسنى أحوال أهل الإيمان، وأعلى مناصبهم الدينية، فوصّى عباده في افتتاح الممتحنة بالتبري من موالاة الأعداء، ووعظهم بقصة إبراهيم والذين معه في تبريهم من قومهم ومعاداتهم في الدين، فالإتصال في هذا بيّن، وكأن سورة الحشر وردت مورد جعل الإعتراضات المقصود بها تسديد الكلام وتبيينه للسامع مع ما به من تمام الفائدة][٣١].

ويظهر لي من خلال متابعة كلام أهل العلم أن التناسب واضح بين سورتي المجادلة والممتحنة والوصل بينهما بسورة الحشر، وبيان ذلك في ما أورده صاحب البرهان :[لما ذكر أن شأن المؤمنين أنهم لا يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أقرب الناس إليهم، اعترض بتنزيهه عن مرتكباتهم، ثم أتبع بذكر ما عجله لهم من النقمة والنكال، ثم عاد الأمر إلى النهي عن موالاة الأعداء جملة، ثم لما كان أول سورة الممتحنة إنما نزل في حاطب بن أبي بلتعة وكتابه لكفار قريش بمكة، وكفار مكة ليسوا من يهود، وطلب المعاداة للجميع واحد، فلهذا فصل بما هو من تمام الإخبار بحال يهود، وحينئذٍ عاد الكلام إلى الوصية عن نظائرهم من الكفار المعاندين والتحمت السور الثلاث][٣٢] .

ثالثاً: القِرَاءاتُ

أضع بين يدي القاريء المكرم بعض ما جاء من القراءات في الآيات موضوع البحث: قال الإمام صاحب الإتحاف رحمه الله: [وقد مر ضم الهاء من ﴿إِلَيْهِم﴾ لحمزة[٣٣] ويعقوب، وأمال الكسائي ﴿مَرْضَاتِي﴾ وفتحها الباقون، وقرأ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ﴾بالمد

نافع وأبو جعفر، وأدغم دال ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ورش وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف، واختلف في ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾، فنافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وهشام من طريق الداجوني بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففاً مبنياً للمفعول، والنائب ضمير المصدر المفهوم من ﴿يَفْصِلُ﴾ أي الفصل أو بينكم، لكنه مبني على الفتح لإضافته إلى مبني، نحو:﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ٩٤، عند من فتح، وافقهم ابن محيصن واليزيدي، وقرأ ابن عامر إلا الداجوني عن هشام بضم الياء وفتح الفاء والصاد المشددة مبنياً للمفعول أيضاً، وقرأ عاصم ويعقوب بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد مخففة مبنياً للفاعل وهو الله تعالى، أي يحكم أو يفرق وصلكم، وافقهما الحسن وقرأ حمزة والكسائي، وخلف بضم الياء، وفتح الفاء، وكسر الصاد المشددة مبنياً للفاعل أيضاً، أي يفرق بإدخال المؤمن الجنة والكافر النار، وافقهم الأعمش][٣٤] .

المبحث الثاني

تحليل الآيات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

مَعَانِي مُفْرَداتُ أَلْفاظِ الآياتِ

تحت هذا العنوان أستعرض بعض ما جاء عن علمائنا الأفاضل في بيان معاني الألفاظ في الآيات موضوع البحث:

ففي بيان الاتخاذ في قوله تعالى:﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾ قال ابن منظور في اللسان: [والاتِّخاذ : افتعال، أَيضاً من الأَخذ، إِلا أَنه أُدغم بعد تليين الهمزة وإِبدال التاء، ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أَن التاء أَصلية، فبنوا منه (فَعِلَ يَفْعَلُ) [٣٥] .

وأورد في بيان معنى الاعتداء وجوهاً حيث قال: [والاعْتداءُ والتَّعَدِّي والعُدْوان: الظُّلْم، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ المائدة: ٢، يقول: لا تَعاوَنوا على المَعْصية والظُّلْم، وعَدَا عليه عَدْواً وعَدَاءً وعُدُوّاً وعُدْواناً وعِدْواناً وعُدْوَى وتَعَدَّى واعْتَدَى، كُلُّه ظَلَمه، وعَدَا بنُو فلان على بني فلان: أَي ظَلَمُوهم][٣٦]، وفي بيان الأصل اللغوي للاعتداء كونه معتل الآخر قال ابن فارس: [عدو: العين والدال والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يرجع إليه الفروعَ كلّها، وهو يدلُّ على تجاوُزٍ في الشيء وتقدُّمٍ لما ينبغي أن يقتصر عليه، من ذلك العَدْو، وهو الحُضْر، تقول : عدا يعدو عَدْواً، وهو عادٍ، قال الخليل: والعُدُوُّ مضموم مثقّل، وهما لغتان: إحداهما عَدْو، كقولك غَزْو، والأُخرى عُدُوّ كقولك حُضور وقُعود، قال الخليل: التعدّي: تجاوز ما ينبغي أن يُقْتَصَر عليه، وتقرأ هذه الآية على وجهين:﴿ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الأنعام: ١٠٨، و(عُدُوًّا)، والعادي: الذي يعدو على الناس ظُلْماً وعُدواناً، ومنه العُدْوانُ، قال: وكذلك العَدَاء، والاعتداء، والتعدِّي، وقال أبو نُخَيلة:

ما زال يَعدُو طَورَه العبدُ الرَّدِي ويعتدي ويعتدي ويعتدي

قال: والعُدْوان: الظلم الصُّراح، والاعتداء مشتقٌّ من العُدْوَان][٣٧] .

وذهب أبو البقاء في كلّياته إلى خصوصية اللفظ عن نقيضه إذ قال: [والعداوة أخص من البغضاء لأن كل عدو مبغض وقد يبغض من ليس بعدو والعدى بكسر العين الأعداء الذين تقاتلهم وبالضم الأعداء الذين لا تقاتلهم قال ابن السكيت: لم يأت فعل من النعوت إلا حرف واحد يقال هؤلاء قوم عدى][٣٨] .

وفي بيان معنى الإسرار في قوله تعالى:﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ قال ابن منظور: [سرر: السِّرُّ من الأَسْرار التي تكتم، والسر ما أَخْفَيْتَ، والجمع أَسرار، ورجل سِرِّيٌّ: يصنع الأَشياءَ سِرّاً، من قوم سِرِّيّين، والسرِيرةُ كالسِّرّ والجمع السرائرُ، الليث: السرُّ ما أَسْرَرْتَ به، والسر يرةُ عمل السر من خير أَو شر، وأَسَرَّ الشيء: كتمه وأَظهره، وهو من الأَضداد، سرَرْتُه كتمته وسررته أَعْلَنْته، والوجهان جميعاً يفسران في

قوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ سبأ: ٣٣، قيل: أَظهروها، وقال ثعلب: معناه أَسروها من رؤسائهم، قال ابن سيده: والأَوّل أَصح، قال الجوهري: وكذلك في قول امرئ القيس: لو يُسِرُّون مَقْتَلِي، قال: وكان الأَصمعي يرويه لو يُشِرُّون بالشين معجمة، أَي يُظهرون، وأَسَرَّ إِليه حديثاً: أَي أَفْضَى، وأَسررْتُ إِليه المودَّةَ وبالمودّةِ، وسارَّهُ في أُذُنه مُسارَّةً، وسِراراً، وتَسارُّوا: أَي تَناجَوْا، أَبو عبيدة: أَسررت الشيء: أَخفيته، وأَسررته: أَعلنته، ومن الإِظهار قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾ سبأ: ٣٣، أي أَظهروها، وأَنشد للفرزدق:

فَلَمَّا رَأَى الحَجَّاجَ جَرَّدَ سَيْفَه أَسَرَّ الحَرُورِيُّ الذي كان أَضْمَرا](٣٩).

وفي قوله تعالى:ٌ﴿ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾ يبين الإمام الراغب معنى الإخفاء: [خفي الشيء خفية: استتر، قال تعالى:ٌ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الأعراف:٥٥، والخفاء: ما يستر به كالغطاء، وخفيته: أزلت خفاه، وذلك إذا أظهرته، وأخفيته: أوليته خفاء، وذلك إذا سترته، ويقابل به الإبداء والإعلان، قال تعالى:﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ﴾ البقرة: ٢٧١، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾ الممتحنة:١](٤٠) .

وللراغب رحمه الله بيان لمعنى البسط لليد وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ إذ قال:[وبسط اليد: مدها، قال عز وجل: ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ الكهف: ١٨ ، وبسط الكف يستعمل تارة للطلب نحو:﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾الرعد ١٤، وتارة للأخذ نحو: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ الأنعام: ٩٣، وتارة للصولة والضرب، قال تعالى:

﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ الممتحنة: ٢، وتارة للبذل والإعطاء: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ المائدة: ٦٤][٤١].

المطلب الثاني

الْوُجوهُ الإعْرابِيَّةُ لِلأَلْفَاظ

بعد أن يسر الله بيان شيء مما اشتملت عليه الآيات موضوع البحث من معانٍ، أشرع بنقل ما ذكره العلماء من وجوه إعرابية بخصوص تلك الآيات: ففي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الممتحنة: ١.

قال الإمام الزمخشري في تفسيره :[عدى (اتخذ) إلى مفعوليه، وهما: ﴿عَدُوِّى﴾ و ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، والعدوّ: فعول، من عدا، كعفوّ من عفا، ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد، فإن قلت: ﴿تُلْقُونَ﴾ بم يتعلق؟ قلت: يجوز أن يتعلق بـ ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ حالاً من ضميره، وبأولياء صفة له، ويجوز أن يكون استئنافاً، فإن قلت: إذا جعلته صفة لـ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وقد جرى على غير من هو له، فأين الضمير البارز وهو قولك: تلقون إليهم أنتم بالمودّة ؟ قلت: ذلك إنما اشترطوه في الأسماء دون الأفعال، لو قيل: أولياء ملقين إليهم بالمودّة على الوصف، لما كان بد من الضمير البارز، والإلقاء عبارة عن إيصال المودّة والإفضاء بها إليهم، يقال: ألقى إليه خراشي صدره، وأفضى إليه بقشوره، والباء في ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إما زائدة مؤكدة للتعدي، مثلها في ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ البقرة: ١٩٥، وإما ثابتة على أن مفعول ﴿تُلْقُونَ﴾

محذوف، معناه: تلقون إليهم أخبار رسول الله بسبب المودّة التي بينكم وبينهم، وكذلك قوله :﴿ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾

أي: تفضون إليهم بمودتكم سرا، أو تسرون إليهم أسرار رسول الله بسبب المودّة، فإن قلت: ﴿ وَقَدۡ كَفَرُواْ ﴾ حال مماذا ؟ قلت: إما من ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ﴾، وإما من ﴿ تُلۡقُونَ ﴾، أي: لا تتولوهم أو توادّونهم وهذه حالهم،و ﴿يُخۡرِجُونَ استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوّهم، أو حال من ﴿ كَفَرُواْ،﴾ و ﴿ أَن تُؤۡمِنُواْ ﴾ تعليل لـ ﴿ يُخۡرِجُونَ ﴾ ، أي: يخرجونكم لإيمانكم، و ﴿ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ ﴾ متعلق بـ ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ﴾، يعني: لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي، وقول النحويين في مثله: هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه، و ﴿ تُسِرُّونَ ﴾ استئناف، ومعناه: أيّ طائل لكم في إسراركم وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما، وأما مطلع رسولي على ما تسرون، ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡهُ ﴾ ومن يفعل هذا الإسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وقرأ الجحدري ((لما جاءكم)) أي: كفروا لأجل ما جاءكم، بمعنى أن ما كان يجب أن يكون سبب إيمانهم جعلوه سبباً لكفرهم][٤٢] .

وفي قوله تعالى: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ ﴾ الممتحنة: ٢، قال الإمام أبو حيان الأندلسي رحمه الله: [قال الزمخشري: فإن قلت: كيف أورد جواب الشرط مضارعاً مثله ، ثم قال ﴿وَوَدُّواْ﴾ بلفظ الماضي ؟ قلت: الماضي، وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب، فإنه فيه نكتة كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً، وكأن الزمخشري فهم من قوله: ﴿ وَوَدُّواْ ﴾ أنه معطوف على جواب الشرط ، فجعل ذلك سؤالاً وجواباً، والذي يظهر أن قوله : ﴿ وَوَدُّواْ ﴾ ليس على جواب الشرط ؛ لأن ودادتهم كفرهم ليست مترتبة على

الظفر بهم والتسلط عليهم، بل هم وادون كفرهم على كل حال، سواء أظفروا بهم أم لم يظفروا، وإنما هو معطوف على جملة الشرط والجزاء، أخبر تعالى بخبرين: أحدهما اتضاح عداوتهم والبسط إليهم ما ذكر على تقدير الظفر بهم، والآخر ودادتهم كفرهم، لا على تقدير الظفر بهم][٤٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الممتحنة: ٣ ، قال الإمام أبو حيان ﴿يَوْمَ﴾ معمول لـ ﴿تَنفَعَكُمْ﴾ أو لـ ﴿يَفْصِلُ﴾، وقرأ الجمهور :چيُفصلُ چ بالياء مخففاً مبنياً للمفعول، وقرأ الأعرج وعيسى وابن عامر كذلك إلا أنه مشدد، والمرفوع إما ﴿بَيْنَكُمْ﴾ وهو مبني على الفتح لإضافته إلى مبني، وإما ضمير المصدر المفهوم من ﴿يَفْصِلُ﴾ ، أي: يفصل هو، أي الفصل، وقرأ عاصم والحسن والأعمش : بالياء مخففاً مبنياً للفاعل ؛ وحمزة والكسائي وابن وثاب : مبنياً للفاعل بالياء مضمومة مشدداً؛ وأبو حيوة وابن أبي عبلة: كذلك إلا أنه بالنون مشدداً؛ وهما أيضاً وزيد بن علي: بالنون مفتوحة مخففاً مبنياً للفاعل؛ وأبو حيوة أيضاً: بالنون مضمومة][٤٤].

المطلب الثالث

الْوجُوهُ الْبَلاغِيّةُ

افتتحت السورة بالنهي عن موالاة الكفار وتقبّل مودتهم، وإضافة لفظة ﴿عَدُوِّي﴾ فيها تغليظ لجرمهم وإعلاماً بحلول عقاب الله بهم، والعدو يدلّ على الجماعة وعلى الواحد[٤٥]، وفيما يأتي أستعرض بعض الوجوه البلاغية التي ذكرها العلماء لبعض النصوص في الآيات موضوع البحث.

ففي قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ﴾ بيّن الإمام الرازي رحمه الله تعالى الوجه البلاغي في تفسيره الكبير، حيث قال: [فاتخذ يتعدى إلى مفعولين وهما

﴿عَدُوِّي﴾ و ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ ، والعدو فعول من عدا كعفو من عفا، ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد، والعداوة ضد الصداقة، وهما لا يجتمعان في محل واحد في زمان واحد من جهة واحدة، لكنهما يرتفعان في مادة الإمكان، وعن الزجاج والكرابيسي: ﴿ عَدُوِّي﴾ أي: عدو ديني وقال عليه السلام: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)(٤٦) وقال عليه السلام لأبي ذر: (يا أبا ذر أي عرى الإيمان أوثق؟ فقال: الله ورسوله أعلم، فقال: الموالاة في الله، والحب في الله، والبغض في الله)(٤٧)](٤٨).

وفي قوله تعالى: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ كان للإمام ابن العربي (رحمه الله) بياناً للوجه البلاغي الذي يحتمله النص، حيث قال: [﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ يعني في الظاهر ؛ لأن قلب حاطب كان سليماً بالتوحيد، بدليل أن النبي ﷺ قال لهم: (أما صاحبكم فقد صدق)، وهذا نص في سلامة فؤاده وخلوص اعتقاده](٤٩) .

وقوله تعالى :﴿ وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ قال ابن عاشور . رحمه الله . في التحرير والتنوير: [فبسط الأيدي حقيقة في مدها للضرب والسلب، وبسط الألسنة مجاز في عدم إمساكها عن القول البذيء، وقد استعمل هنا في كلا معنييه](٥٠).

المبحث الثالث

الخلاصة من دراسة الآيات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

الْمَعْنَى الْعَامُّ لِلآياتِ

يتبين من أقوال المفسرين في معاني الآيات أنها تدور حول قضية الولاء والبراء

وما يترتب على هذا الأصل، ومما هو معلوم أن الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه[٥١]، فقد صار سبباً في نزول تشريع رباني باقٍ إلى قيام الساعة، وهو تحريم موالاة الكافرين، وكأن الخطاب إشارة إلى من هو بعد حاطب رضي الله عنه، حيث أن الله تعالى ناداه بنداء المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ **الممتحنة:١**، وفعل الاتخاذ يدل على الاستمرار، ثم أن النبي عليه الصلاة والسلام، كان شاهداً مباشراً لهذا الحدث، ليأخذ دوره في معالجة هذه القضية، وقد بين لنا بعض علماء الأمة أبعاد وخطورة المسألة، [وهذه الآيات فيها النهي الشديد عن موالاة الكفار من المشركين وغيرهم، وإلقاء المودة إليهم، وأن ذلك مناف للإيمان، ومخالف لملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو، الذي لا يبقي من مجهوده في العداوة شيئا، وينتهز الفرصة في إيصال الضرر إلى عدوه، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ اعملوا بمقتضى إيمانكم، من ولاية من قام بالإيمان، ومعاداة من عاداه، فإنه عدو لله، وعدو للمؤمنين، فلا تتخذوا عدو الله ﴿وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ **الممتحنة:١** أي: تسارعون في مودتهم وفي السعي بأسبابها، فإن المودة إذا حصلت، تبعتها النصرة والموالاة، فخرج العبد من الإيمان، وصار من جملة أهل الكفران، وانفصل عن أهل الإيمان، وهذا المتخذ للكافر ولياً، عادم المروءة أيضا، فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه الذي لا يريد له إلا الشر، ويخالف ربه ووليه الذي يريد به الخير، ويأمره به، ويحثه عليه؟ ومما يدعو المؤمن أيضا إلى معاداة الكفار، أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحق، ولا أعظم من هذه المخالفة والمشاقَّة، فإنهم قد كفروا بأصل دينكم، وزعموا أنكم ضُلّال على غير هدى.

والحال أنهم كفروا بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية، ومن رد الحق فمحال أن يوجد له دليل أو حجة تدل على صحة قوله، بل مجرد العلم بالحق يدل على بطلان قول من رده وفساده، ومن عداوتهم البليغة أنهم ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ

رَبِّكُمْ﴾الممتحنة:١ أيها المؤمنون من دياركم، ويشردونكم من أوطانكم، ولا ذنب لكم في ذلك عندهم، إلا أنكم تؤمنون بالله ربكم الذي يتعين على الخلق كلهم القيام بعبوديته؛ لأنه رباهم، وأنعم عليهم، بالنعم الظاهرة والباطنة، وهو الله تعالى.

فلما أعرضوا عن هذا الأمر، الذي هو أوجب الواجبات، وقمتم به، عادوكم، وأخرجوكم – من أجله – من دياركم، فأي دين، وأي مروءة وعقل، يبقى مع العبد إذا والى الكفار الذين هذا وصفهم في كل زمان أو مكان؟ ولا يمنعهم منه إلا خوف، أو مانع قوي ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ ﴾ الممتحنة:١ أي: إن كان خروجكم مقصودكم به الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وابتغاء مرضاة الله، فاعملوا بمقتضى هذا، من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فإن هذا هو الجهاد في سبيله، وهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى ربهم ويبتغون به رضاه.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ الممتحنة:١ أي: كيف تسرون المودة للكافرين وتخفونها، مع علمكم أن الله عالم بما تخفون وما تعلنون؟، فهو وإن خفي على المؤمنين، فلا يخفى على الله تعالى، وسيجازي العباد بما يعلمه منهم من الخير والشر، ﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ الممتحنة:١ أي: موالاة الكافرين بعد ما حذركم الله منها ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ الممتحنة:١ ؛ لأنه سلك مسلكا مخالفا للشرع وللعقل والمروءة الإنسانية.

ثم بين تعالى شدة عداوتهم، تهييجاً للمؤمنين على عداوتهم، ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ أي: يجدوكم، وتسنح لهم الفرصة في أذاكم، ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ ظاهرين ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل وال﴿ ضرب ونحو ذلك، ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴾ أي: بالقول الذي يسوء، من شتم وغيره، ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ فإن هذا غاية ما يريدون منكم، فإن احتججتم وقلتم: نوالي الكفار لأجل القرابة والأموال، فلن تغني عنكم أموالكم

ولا أولادكم من الله شيئا، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ الممتحنة٣، فلذلك حذركم من موالاة الكافرين الذين تضركم موالاتهم][٥٢].

وفيما يأتي أضع بين يدي القاريء المكرم قولاً للإمام الرازي رحمه في تفسيره (مفاتيح الغيب) أجد فيه خلاصة ما أردت بيانه، إذ قال: [واعلم أن كون المؤمن موالياً للكافر يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون راضياً بكفره ويتولاه لأجله، وهذا ممنوع منه لأن كل من فعل ذلك كان مصوباً له في ذلك الدين، وتصويب الكفر كفر، والرضا بالكفر كفر، فيستحيل أن يبقى مؤمناً مع كونه بهذه الصفة، فإن قيل: أليس أنه تعالى قال: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ ﴾ آل عمران: ٢٨، وهذا لا يوجب الكفر فلا يكون داخلاً تحت هذه الآية، لأنه تعالى قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ محمد: ٣، فلا بد وأن يكون خطاباً في شيء يبقى المؤمن معه مؤمناً، **وثانيها:** المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر، وذلك غير ممنوع منه، **والقسم الثالث:** وهو كالمتوسط بين القسمين الأولين، هو أن موالاة الكفار بمعنى الركون إليهم والمعونة والمظاهرة والنصرة، إما بسبب القرابة أو بسبب المحبة مع اعتقاد أن دينه باطل، فهذا لا يوجب الكفر، إلا أنه منهي عنه؛ لأن الموالاة بهذا المعنى قد تجره إلى استحسان طريقته والرضا بدينه، وذلك يخرجه عن الإسلام، فلا جرم هدد الله تعالى فيه فقال: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون المراد من الآية النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء، بمعنى أن يتولوهم دون المؤمنين؛ فأما إذا تولوهم وتولوا المؤمنين معهم فذلك ليس بمنهي عنه، وأيضاً فقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾آل عمران: ٢٨، فيه زيادة مزية؛ لأن الرجل قد يوالي غيره ولا يتخذه موالياً، فالنهي عن اتخاذه موالياً لا يوجب النهي عن أصل مولاته، قلنا : هذان الاحتمالان وإن قاما في الآية، إلا أن سائر الآيات الدالة على أنه لا تجوز موالاتهم، دلّت على سقوط هذين الاحتمالين][٥٣]. وقد مر الإمام البقاعي عليه رحمة الله بهذه المسألة مروراً طيباً، ذكر فيه أن الله تعالى:

[حذر المؤمنين من مداناة مثل ذلك، مع كونهم مؤمنين، كما وقع لحاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه، مما قص في سورة الممتحنة، إشارة إلى أنه لا تجتمع موالاة المؤمنين، وموالاة الكافرين في قلب، إلا أوشكت إحداهما أن تغلب على الأخرى فتنزعها][٥٤] .

لذا يجد القارئ المكرم أن المعنى العام للآيات يصب في كيفية تعامل المؤمن مع ماحوله من معطيات، وبخاصة منها مسألة الولاء والبراء، وهذا أساس يترتب عليه بناء كل مجتمع أو أمة، ولك أن تتخيل كيف يكون حال أمة يحيط بها أعداؤها من كل صوب ويتربصون بها الدوائر، ومع هذا يعيش في كنفها ويأكل من خيراتها من يوالون أعداءها، لهذا من كان عنده قلب ويتأمل في الآيات الناهية عن هذا الخلق يجد وقعها الخطير داعياً لمراجعة النفس، وخاصة في الموالاة هل هي لهذا الدين خالصة؟ أم يشوبها ويختلط معها ما يتناقض مع وجودها؟

المطلب الثاني

الدُّرُوسُ المُسْتَنْبَطَةُ مِنَ الآيَاتِ

من خلال الجولة السريعة بين ثنايا الآيات موضوع البحث يمكن أن أستخلص شيئاً من الاستنباط من كلام العلماء فيما يتعلق بالدروس والعبر التي يجب على المسلم مراعاتها والنظر فيها، ذلك أن القرآن إنما أنزله الله تعالى معالجاً لأمور تعترضنا خلال حياتنا، لذا كان لزاماً علينا أن نتفكر في آياته، والله تعالى حثنا على التفكر في هذا القرآن فقال: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾ القمر، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر، ومن هنا أقول: إن الله تعالى ذكر لنا في هذا القرآن آيات يترتب عليها بيان قضية اجتماعية، وكيفية التعامل معها، فوجدت أن أبين بعض ما جال في خاطري من علامات، عسى أن أكون موفقاً في ذلك:

١. إن صفة الإيمان هي صفة عظيمة، وكما هو معلوم فإنها أخص من صفة الإسلام، ولا يؤتاها إلا من أراد الله به الخير في هذه الدنيا وفي الآخرة، ولا سيّما إذا اقترن إيمان الشخص ألاعتقادي بالعمل الصالح لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ النحل، لذا على من يتصف بهذه الصفة أن يكون أهلاً لحملها، وأن يراعي ما له وما عليه، ذلك أنه داخل في خطاب الله جل شأنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾.

يترتب على من خصّه الله بالإيمان أن يوالي أولياء الله لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ المائدة: ٥٥- ٥٦، وأن يتبرأ من كل ما هو منافٍ لذلك، حتى ولو كانوا أقرب الناس[٥٥]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ التوبة٢٣، وأن ينتهي عن موالاة المنافقين وأهل الكتاب والكفار، حيث يقول الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ الممتحنة: ١، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النساء: ١٤٤، وإلا فقد خالف أمر الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ المائدة:٥١، وكان في دائرة تهديد الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النساء: ١٤٠، والآيات كثيرة في هذا الشأن[٥٦]، لذا فإن الأمر ذا خطورة شديدة، يستوجب التثبت في التعامل مع غير المؤمنين، ومع غير المسلمين من باب أولى.

٢. إن الآصرة الحقيقية التي تربط المسلمين فيما بينهم هي آصرة الإيمان، لقول الباري عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات:١٠، بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم، فالمؤمنون إخوةٌ في الدينِ والعقيدةِ وإنْ تباعدتْ أنسابُهم وأوطانُهمْ وأزمانُهم قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ﴾ الحشر ١٠، وهي المقياس الحقيقي الذي لا يوازيه نسب ولا غيره، حيث يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات، ويقول عز وجل: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ الممتحنة٣.

٣. الآيات فيها حث على التحلي بالسرية والكتمان، وأن لا ينسى المؤمن بأن الله اختصه دون غيره بأن جعله ضمن الجماعة المؤمنة، فمن كان في صف المؤمنين واجب عليه أن يحترم أسرارهم، وكأني برسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يعاتب حاطباً، ولسان الحال يقول مستفهماً: أبعد أن خصك الله وأسررناك، يبدر ذلك منك؟، وهذا فيه إشارة للجماعة المؤمنة أن تنتبه لصفها .

٤. الآيات فيها إشارة إلى معاقبة من تجسس على المسلمين، دليل ذلك أن عمر رضي الله عنه قال للنبي عليه الصلاة والسلام: (يا رسول الله دعني أضرب عنقه).

٥. يتبين من الآيات أن المسلم يجب أن يكون دائم الخوف من الله أولاً، ثم مراقبة إيمانه ووزنه بميزان الشرع، فهذا حاطب بن أبي بلتعة وهو من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام وممن شهدوا بدراً وكثيراً من المعارك، لكنه صار سبباً؛ لأن يتفكر كل مسلم في ولائه وبرائه، وحبه في الله لأوليائه وبغضه فيه لأعدائه .

٦. تبين الآيات تأكيداً على أن أعداء دين الله ليس لهم عهد أو ميثاق على مر العصور، فهم الذين حاربوا بناة هذا الدين في عصره الأول، وهاهم اليوم يحاربونه، مع اختلاف الوسائل والوجوه، فكيف الوثوق بهم، والإغترار بعهودهم وأشكالهم؟ .

٧. إن الله تعالى قد جعل أسباب العزة في المجتمع الإسلامي، ولن تتحقق هذه العزة إلا بالتمسك بتعاليم هذا الدين، وحذّرنا من أعدائه ومخططاتهم الرامية إلى سلخنا من هويتنا التي فيها عزنا وفخارنا، فهم يبثون كل أنواع ووسائل الإفساد حيث قال تعالى في وصفهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ فصلت: ٢٦، لإشغال المسلمين عن دينهم، يقول تعالى : ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ﴾ الممتحنة: ١، وقال تعالى: ﴿ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ الممتحنة:٢، وقال عز من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩﴾ النساء: ١٣٩.

المطلب الثالث

الأحكام الواردة في الآيات (حُكْمُ الجَاسُوسِ) أنموذجاً

بعد مطالعتي لعدد من التفاسير والمؤلفات التي تحدثت عن الآيات موضوع البحث، تبين لي أن هنالك أحكاماً تترتب عليها، وخشية للإطالة آثرت أن أتعرض للأحكام المتعلقة بالجاسوس المسلم فقط، لما لهذا الأمر من شديد الخطورة على المجتمع الإسلامي، وما جعلني أبحث في هذا المفصل من البحث هو أن بعض العلماء ربطوا موضوع الجاسوس بقصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، وكما هو معلوم أنه قد برأه الله تعالى، ذلك أنه أغشي عليه عندما سمع قوله تعالى فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الممتحنة:١، وذلك ثابت في كثير من كتب التفسير[٥٧] وكتب الحديث، وقرر ذلك النبي عليه الصلاة والسلام عندما قال لأصحابه: (لقد صدقكم)[٥٨]

وفي رواية أخرى (صدق فلا تقولوا له إلا خيراً)[٥٩]، ومما هو معلوم أيضاً أن لحاطب رضي الله عنه خصوصية فيما فعله لا تنسحب على غيره، وذلك لشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له في موضعين عدا ما ذكرته آنفاً، وهما قوله لعمر رضي الله عنه: (إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[٦٠]، وكذا قوله عليه الصلاة والسلام للعبد الذي جاء إليه يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: (كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية)[٦١] ، لأن قلب حاطب كان سليماً بالتوحيد كما قرر ذلك العلماء رحمة الله عليهم .

ومن قصة حاطب رضي الله عنه استخلص علماؤنا الأجلّاء أحكاماً بحق الجاسوس، وسأتناول الأحكام التي تخص الجاسوس المسلم، وقد ورد للعلماء في هذه المسألة ثلاثة آراء[٦٢] :

●الرأي الأول: (أن المسلم إذا صار عيناً للكفار يقتل): وهو مذهب الإمام مالك وأحد الوجهين من مذهب أحمد بن حنبل[٦٣]، وقد استدل أصحاب هذا المذهب بالحديث المروي في صحيح البخاري، والذي جاءت فيه قصة حاطب، حيث قالوا : إن العلة في عدم قتل حاطب رضي الله عنه، كونه من أهل بدر، لا كونه مسلماً فقط، وهذه العلة لا توجد في غير حاطب، فلو كان الإسلام مانعاً من قتله، لم يعلل بأخص منه، لأن الحكم إذا علل بالأعم كان الأخص عديم التأثير، وعلى ذلك يكون: عدم قتل الجاسوس المسلم خاصّاً بأهل بدر فقط، وأما ما عداهم من المسلمين فيقتل من تجسس منهم لصالح العدو، لإضراره بالمسلمين وسعيه بالإفساد في الأرض، وهو بعمله هذا أضر من المحارب[٦٤] .

●الرأي الثاني : (ان المسلم إذا صار عيناً للكفار يقتل، في حالة تكرار تجسسه، واتخاذه عادة): قال به عبد الملك بن الماجشون من المالكية، ودليلهم بهذا أيضاً من الحديث آنف الذكر، على أن حاطباً أخذ في أول فعله ولم يتكرر منه هذا الفعل، فلم يقتل لهذا السبب، لذا فلا يكون المرء جاسوساً حقيقة إلا إذا تكرر منه ذلك الفعل واتخذه

عادة ومهنة، فإن عرف بذلك تكون عقوبته القتل، وإن لم يعرف عزر، وضرب ونكل، وذلك فيما لو كانت فلتة عارضة دونما قصد كما حصل من حاطب رضي الله عنه[٦٥].

الرأي الثالث : (إن المسلم إذا صار عيناً للكفار لا يقتل وإنما يعزره الإمام، بما يراه من ضرب أو حبس)، وهو مذهب الشافعية والحنفية وظاهر مذهب أحمد بن حنبل وبعض المالكية والاوزاعي وابن قيم الجوزية، وهم أيضاً استدلوا بالقصة نفسها في الحديث، ووجه استدلالهم : لو أن عمل حاطب يستوجب القتل كفراً أو حداً لقتله رسول الله عليه الصلاة والسلام وما تركه، ولما منعه كونه من أهل بدر، ولذا يتبين من القصة أن المسلم إذا تجسس للكفار على المسلمين، ثم أقر بذلك، فإنه لا يقتل، ولكن أمره إلى الإمام، وله أن يعاقبه عقوبة موجعة تعزيراً، وكذلك استدل أصحاب هذا الرأي بحديث فرات بن حيان[٦٦]، ووجه الاستدلال به عندهم: أنه دليل على أنه لا يجوز قتل المسلم إذا تجسس لصالح العدو، حيث رفع رسول الله عليه الصلاة والسلام عنه القتل بعدما أعلن إسلامه، فقد تركه رسول الله بعد أن سمع عنه أنه مسلم وسماه مؤمناً، وقد سماه الله مؤمناً كما سمّى حاطباً مؤمناً أيضاً، حيث قال تعالى في حق فرات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾الأنفال. كما قال في حق حاطب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ الممتحنة: ١، ولهذا قالوا: للإمام أن يقرر العقوبة بما يراه مناسباً ورادعاً له ولغير، ولا تصل هذه العقوبة إلى القتل[٦٧]، كما استدل أصحاب هذا الرأي بقوله عليه الصلة والسلام : (لا يحل دم أمريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة)[٦٨] ، واستدل أصحاب هذا الرأي بهذا الحديث على عدم جواز قتل الجاسوس المسلم: بأن الحديث يدل على أنه لا يحل دم من ثبتت له حرمة الإسلام، إلا أن يقتل أو يزني بعد إحصان أو يكفر كفراً بعد إيمان، ثم يثبت على الكفر، فالجاسوس المسلم إن تجسس للعدو طمعاً أو لأي سبب عارض فلا يخرجه تجسسه عن الإيمان، إذا كان اعتقاده سليماً كما كان حاطب رضي الله عنه.

والذي أميل إليه من خلال ما استعرضته من آراء العلماء في هذه المسألة: أن نجمع بين هذه الآراء، بمعنى: أن الجاسوسية أشد الأمور خطورة على المسلمين، لكن القصتين فيهما إشارة إلى عدم غياب القائد أو الإمام في هذا المقام، وفعل النبي عليه الصلاة والسلام دليل على حضور القائد وتقديره للحالة في وقتها، وعلى هذا فالأمر موكول للإمام، إن تبين له أن مصلحة المسلمين تقتضي العقوبة عاقبه على أن تكون زاجرة له عبرة لغيره، وإن اقتضت المصلحة قَتْلَه قَتَلَه، والله أعلم.

الخَاتِمَةُ

وفي الختام أتمثل بقول الإمام الشاطبي[٦٩] رحمه الله تعالى الذي قال :

فَيا خَيْرَ غَفَّارٍ وَيَا خَيْرَ رَاحِمٍ ... وَيا خَيْرَ مَأْمُولٍ جَدَاً وَتَفَضُّلاَ
أَقِلْ عَثْرَتِي وَانْفَعْ بِهاَ وَبِقَصْدِهاَ ... حَنَانَيْكَ يَا أَللهُ يَا رَافِعَ الْعُـلاَ
وَآخِرُ دَعْوَانَا بِتَوْفِيقِ رَبِّنَـا ... أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي وَحْدَهُ عَـلاَ
وَبَعْدُ صَلاَةُ اللهِ ثُمَّ سَلاَمُـهُ ... عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ الرضَا مُتَنَخِّلاَ
محَمَّد الْمُخْتَار لِلْمَجْدِ كَعْبَـةً ... صَلاَةً تُبَارِي الرِّيحَ مِسْكاً وَمَنْدَلاَ
وَتُبْدِي عَلَى أَصْحَابِهِ نَفَحَاتِهَا ... بِغَيْرِ تَنَاهٍ زَرْنَبًا وَقَرَنْفُـلاَ

وفي خاتمة هذا البحث، فإني أحمد الله على منّه وفضله إذ وفقني لبيان بعض معاني آيات سورة الممتحنة، وتفسير آياتها تفسيرا تحليلياً، وهناك بعض النتائج والحقائق التي توصلت إليها من خلال بحثي في هذه الآيات منها:

١. التفسير التحليلي من أنواع التفاسير الشيقة والممتعة، ذلك أن الطالب أو الباحث يتعرف من خلاله على كثير من العلوم التي تساعد على زيادة المعرفة وتطوير الثقافة العامة.
٢. اشتمال الآيات الكريمة على موضوع حيوي، يهم الفرد والمجتمع الإسلامي، وهو موضوع الولاء والبراء باعتباره الأساس الذي تبنى عليه العلاقات مع الغير، سواء كان مسلماً أو غير مسلم، وما حدود هذه العلاقة وأبعادها.
٣. إن صفة الإيمان صفة عظيمة، وخطاب الباري عز وجل للمؤمنين في الآيات يكاد يكون له وقع خاص، وكأنه عز وجل يعاتب أناساً ويحذر من يليهم، من مغبّة الوقوع في ما يهدد إيمانهم.
٤. نهى الباري جل وعلا عن موالاة الكافرين لما لهذا الخلق من خطر محدق بالأمة، لذا فإن الحب والولاء لا يكون إلا لله ولأوليائه، والبغض والعداء يكون لمن هو عدو لله ولأوليائه.

٥. حفظ الأسرار من الأخلاق النبيلة، وعلى المسلم أن يكون أميناً على أسرار غيره، وخاصة إذا كان الأمر متعلقاً بمصير الناس أو الأمة.
٦. صلة القرابة بالصالحين لا تنفع صاحبها، ما لم تكن قائمة على الإيمان والتقوى.
٧. حضور الإمام له الأهمية في تطبيق الأحكام الشرعية، فضلاً عن تنظيم الحياة اليومية للمجتمع المسلم.
٨. ضرورة قيام المؤمن بمسؤوليته تجاه المجتمع الذي يعيش فيه تعليماً ونصحاً وتوجيهاً حتى تتحقق المصلحة العامة التي هي الحصول على مرضاة الله والإبتعاد من سخطه.
٩. هنالك قوانين وأحكام استنبطها العلماء رحمهم الله تعالى، حفاظاً على ترابط نسيج المجتمع الإسلامي، ومنها الأحكام المترتبة في حق الجاسوس، لما لهذا النموذج من خطر على المجتمع وبالتالي على أرواح أفراده، لذا كان للعلماء آراء في درجة العقوبة المترتبة نتيجة لهذه الصفة الرذيلة والشاذة في المجتمع .
١٠. الجاسوسية خطر يداهم كل المجتمعات بصورة عامة، فضلاً عن المجتمع الإسلامي، لذا فالإمام موكول إليه أمر من ثبتت فيه هذه الصفة، ويراعى بذلك مصلحة المسلمين.
١١. في كل زمان يحاول أعداء الإسلام أن يمزقوا ويشقوا صف هذه الأمة بكل ما أوتوا من شيطنة معرفية أو غيرها، فواجب على أبنائها أن يتنبهوا لهذا الخطر ويعملوا على إفشال كل المخططات وذلك بالرجوع إلى دين الله واستخدام العقول في خدمة الإسلام والمسلمين .

وختاماً أقول بما قيل من قبل:

إنْ تَجِدْ عَيْبَاً فَسُدَّ الْخَلَلَا جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيْهِ وَعَلا

وأحمد الله وأشكره على الإعانة والتيسير، وأستغفره من الزلل والخطأ والتقصير، وأسأله القبول والتوفيق، وأصلي وأسلم وأبارك على سيدنا محمد من له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في هدايتنا وتبصيرنا، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المَصَادِر

** القرآن الكريم .

١. إبراز المعاني من حرز الأماني: شرح الشاطبية: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، ت٦٦٥هـ .

٢. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي المعروف بالبناء ، ت١١١٧هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١، ١٩٩٨م .

٣. أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، ت٥٤٣هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٣م .

٤. أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ت٤٦٨هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٩٦٥م .

٥. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت ٩١١هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت، ٢٠٠٣م .

٦. الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت٨٥٢هـ ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل . بيروت، ١٤١٢هـ .

٧. البرهان في تناسب سور القرآن: أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي، ت٧٠٨هـ ، تحقيق الدكتور سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي . الرياض، ١٤٢٨هـ .

٨. البرهان في علوم القرآن: ابو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ت٧٩٤هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة . بيروت ، ١٣٩١هـ .

٩. التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية: محمد راكان الدغمي، جمعية عمال المطابع التعاونية . عمان، ١٩٨٤م .

١٠.التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت١٣٩٣هـ ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .

١١.التيسير في القراءات السبع: الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ت٤٤٤هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١، ١٩٩٦م .

١٢.الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت٤٧١هـ ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ١٩٨٥م .

١٣.الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري ت٣٩٣هـ ، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٩٩٠م .

١٤.الكافي في القراءات السبع: أبو عبد الله محمد بن شريح الأندلسي، ت٤٧٦هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت، ٢٠٠٠م .

١٥.المبسوط في القراءات العشر: أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، ت ٣٨١هـ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية . دمشق، ١٩٨٠م.

١٦.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت٥٤٢هـ ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية . بيروت، ٢٠٠١م .

١٧.المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ت٥٠٢هـ ، دار القلم . دمشق .

١٨.النشر في القراءات العشر: الحافظ محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، ت٨٣٣هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت .

١٩.بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت ٨١٧ هـ ، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ١٣٨٣هـ .

٢٠.تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول: الشيخ خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة . بيروت، ١٩٩٨م.

٢١.تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم لمزايا القران الكريم): لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، ت٩٥١هـ ، دار إحياء التراث العربي . بيروت .

٢٢.تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت٧٤٥هـ، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١، ١٩٩٣م .

٢٣.تفسير البيضاوي: عبد الله ابن عمر بن محمد بن علىّ، البيضاوى الشافعى، ت٦٩١هـ، دار الفكر . بيروت .

٢٤.تفسير القرآن العظيم: الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، ت٧٧٤هـ ، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرين، مؤسسة قرطبة . القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٥.تفسير الكشاف: أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت٥٣٨هـ ، دار إحياء التراث العربي . بيروت .

٢٦.تفسير روح البيان: ابو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، ت١١٢٧هـ ، دار احياء التراث العربي . بيروت

٢٧.تفسير معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت٥١٦هـ ، تحقيق محمد عبد الله وآخرين، دار طيبة، ط٤، ١٩٩٧م .

٢٨.تفسير مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ت ٦٠٤هـ ، دار الفكر . بيروت، ط١، ١٩٨١م .

٢٩.تناسق الدرر في تناسب السور: للحافظ جلال الدين السيوطي، ت٩١١هـ ، دراسة وتحقيق عبد القادر احمد عطا، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٩٨٦م .

٣٠.تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت ٣٧٠هـ ، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط١ ، ٢٠٠١م .

٣١.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م .

٣٢.جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت٣١٠ هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة . بيروت،٢٠٠٠ م .

٣٣.جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ت ٣٢١هـ، دار الكتب العلمية . بيروت، ٢٠٠٥م .

٣٤.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الآلوسي، ت١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي . بيروت .

٣٥.زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، ت٧٥١هـ ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الرابعة عشرة، ١٩٨٦م .

٣٦.سنن البيهقي الكبرى: ابو بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، ت ٤٥٨هـ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز . مكة المكرمة، ١٩٩٤م .

٣٧.سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي السلمي، ت٢٧٩هـ ، دار إحياء التراث العربي . بيروت، بلا، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون .

٣٨.سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، ت٢٥٥هـ ، دار الكتاب العربي . بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ .

٣٩.شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت٤٥٨هـ ، تحقيق محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٩٨٠م .

٤٠.٤١.صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ط٢، ١٩٩٣م .

٤١.صحيح البخاري: المسمى (الجامع الصحيح المختصر): تحقيق الدكتور مصطفا ديب البغا، دار ابن كثير . بيروت، ١٩٨٧م .

٤٢.صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي . بيروت .

٤٣.عمدة القاري شرح صحيح البخاري : محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي، ٨٥٥هـ ، ملتقى أهل الحديث .

٤٤.كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت ١٧٠هـ ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، مكتبة الهلال .

٤٥.كتاب الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ١٩٩٨م .

٤٦.لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ت٧١١هـ ، دار صادر . بيروت ، ط١.

٤٧.مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي،ت (بعد ٦٦٦هـ) ، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون . بيروت، ط١، ١٩٩٥م .

٤٨.مسند أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، ت ٢٤١هـ ، مؤسسة قرطبة . القاهرة، د ط .

٤٩.معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت ٣٩٥هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر . بيروت ، ط١، ١٩٧٩م .

٥٠.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت٨٨٥هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٢م .

الهوامش:

١. سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، دار الكتاب العربي . بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ : ٢٧٢/٢ ، رقم الحديث ٢٤١١ ، كتاب الجهاد ، باب صفة القتل في سبيل الله ، وينظر : صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ط٢، ١٩٩٣م :٥١٩/١٠ ، رقم الحديث ٤٦٦٣ ، كتاب السير ، باب فضل الشهادة .

٢. لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ت٧١١هـ ، دار صادر . بيروت ، ط١ :٤٠١/١٣ .

٣. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي . بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٠/١٩٢.

٤. لسان العرب، ٤٠١/١٣.

٥. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٣/٣٩١.

٦. لسان العرب: ٤٠١/١٣ ، وينظر : المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت٥٠٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم . دمشق :١٤٥/١ وما بعدها و ٧٦٢/١ .

٧. جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ت ٣٢١هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ٢٠٠٥م : ٢٩٨/١ .

٨. معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت ٣٩٥هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر . بيروت ، ١٩٧٩م ، ط١ : ٣٠٢/٥ .

٩. مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون . بيروت ، ١٩٩٥م ، ط١ : ٦٤٢ .

١٠. تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ،تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ٢٠٠١م ، ط١ :٧٨/٥ .

١١. ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت ٨١٧ هـ، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ، ١٣٨٣هـ ، الكتاب الرابع الفيروز آبادي : ٤٦٠.

١٢. تفسير روح البيان : أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، ت١١٢٧هـ ، دار إحياء التراث العربي . بيروت : ٣٨٢/٩ .

١٣. التحرير والتنوير : المعروف بتفسير ابن عاشور : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ت ١٣٩٣هـ ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م : ١١٥/٢٨ .

١٤. ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمد الآلوسي ، ت١٢٧٠هـ ، دار إحياء التراث العربي . بيروت : ٦٥/٢٨، جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي، ت ٦٤٣هـ، د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، ص٩٢.

١٥. أنظر : المبسوط في القراءات العشر : أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ، ت ٣٨١هـ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية . دمشق ، ١٩٨٠م : ص٤٣٤.

١٦. بصائر ذوي التمييز :٤٦٠ .

١٧. روح المعاني : ٦٥/٢٨ .

١٨. ينظر: الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ت ٩١١هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ٢٠٠٣م : ٣٦/١ ، وينظر : تفسير مفاتيح الغيب : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ت ٦٠٤هـ ، دار الفكر . بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م :٢٩٧/٢٩ ـ ٣٠٠ ، وينظر : تفسير الكشاف : أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت : ٥١٠/٤ ، وينظر : تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، ت٧٤٥هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٩٩٣م ، ط١ : ٢٥٠/٨ . ٢٥٢ ، وينظر : تفسير البيضاوي : عبد الله ابن عمر بن محمد بن علىّ، البيضاوي الشافعي ، ت٦٩١هـ ، دار الفكر . بيروت : ٥/ ٣٢٥ ، وينظر : تفسير معالم التنزيل : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، ت٥١٦هـ ، تحقيق محمد عبد الله وآخرين ، دار طيبة ، ١٩٩٧م ، ط٤ : ٨٩/٨ .

١٩. يقصد بها سورة الممتحنة .

٢٠. الإتقان في علوم القرآن :٤٤/١ .

٢١. حاطب بن أبي بلتعة : بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها مثناة ثم مهملة مفتوحات ، بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي : (٩٥ ق هـ . ٣٠هـ) : صحابي شهد مع رسول الله ﷺ الوقائع كلها ، كان من الرماة ، واسع التجارة ، وهو حامل كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام الى المقوقس بالإسكندرية ، وكانت وفاته بالمدينة ، ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل

ـ بيروت ، ١٤١٢هـ :٤/٢ ، وينظر : تفسير القرآن العظيم : الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ، ت٧٧٤هـ ، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرين ، مؤسسة قرطبة . القاهرة ، ٢٠٠٠م :١٣/ ٥٠٦ . ٥١٠ ، وينظر : تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي :٢٥٧/٢٩ ، وينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري ، ت ٣١٠ هـ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة . بيروت ،٢٠٠٠ م : ٣١٢.٣١١/٢٣ ، وينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٠م :٨٥٤ .

٢٢. أسباب النزول : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، ت٤٦٨هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٩٦٥م : ٢٨٣.٢٨١ ، وينظر : تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول : تصنيف الشيخ خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة . بيروت ، ١٩٩٨م : ٣٥١ . ٣٥٢ .

٢٣. روضة خاخ : موضع بين مكة والمدينة ، أقرب إلى المدينة ، ينظر صحيح البخاري ، المسمى (الجامع الصحيح المختصر) : تحقيق الدكتور مصطفا ديب البغا ، دار ابن كثير . بيروت ، ١٩٨٧م : ١٠٩٥/٣ ، رقم الحديث٢٨٤٥ ، باب الجاسوس ، وينظر : صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت : ١٩٤١/٤ ، رقم الحديث ٢٤٩٤ ، باب فضائل أهل بدر رضي الله عنهم .

٢٤. الظعينة : المرأة في الهودج (ينظر لسان العرب)٢٧١/١٣.

٢٥. تعادي بنا خيلنا : تباعد وتجاري، ينظر مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث، ٧٠/٢.

٢٦. عقاصها : العقاص هو الشعر المظفور ، مفرده عقيصة ، ينظر مقاييس اللغة: ٩٧/٤ باب (عقص).

٢٧. ملصقا : مضافا إليهم ولست منهم ، وقيل : معناه حليفا ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم ، ينظر : صحيح البخاري : ١٠٩٥/٣ .

٢٨. صحيح مسلم : ١٩٤١/٤ ، رقم الحديث ٢٤٩٤ .

٢٩. مفاتيح الغيب : ٢٥٧/٢٩ ، وينظر : تناسق الدرر في تناسب السور : للحافظ جلال الدين السيوطي ، دراسة وتحقيق عبد القادر احمد عطا ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٩٨٦م : ص١٢٣ .

٣٠. روح المعاني : ٦٥/٢٨ .

٣١. البرهان في تناسب سور القرآن : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، ت ٧٠٨هـ ، تحقيق الدكتور سعيد بن جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي . الرياض ، ١٤٢٨هـ : ١٨٥ . ١٨٦ .

٣٢. البرهان في تناسب سور القرآن : ١٨٦ .

٣٣. ينظر : كتاب السبعة في القراءات : أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف . القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، ١٠٨/١ .

٣٤. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط١، ١٩٩٨م : ٧٣٧/١ ، ينظر : النشر في القراءات العشر : الحافظ محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، ت٨٣٣هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت : ٣٨٧/٢ ، وينظر : التيسير في القراءات السبع : الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، ت٤٤٤هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م : ص١٧٠، وينظر : الكافي في القراءات السبع : أبو عبد الله محمد بن شريح الأندلسي ، ت٤٧٦هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ٢٠٠٠م : ص٢١٦ .

٣٥. لسان العرب :٤٧٠/٣ ، ينظر : كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ، مكتبة الهلال :٢٩٨/٤ ، وينظر : الصحاح للجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ت٣٩٣هـ ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٠م :١٢١/٣ ، وينظر : تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م : ١٣٠/٦ مادة (تخذ) ، وينظر : مختار الصحاح : ٨/١ ، وينظر : البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة . بيروت ، ١٣٩١هـ :٤/ ١٦١ . ١٦٢ ، مادة (اتخذ).

٣٦. لسان العرب لابن منظور : ٣١/١٥ ، مادة (عدا) ، ينظر : تهذيب اللغة : ٦٩/٣ . ٧٠ .

٣٧. معجم مقاييس اللغة :٢٤٩/٤-٢٥٠، باب العين ، مادة (عدو) بتصرف يسير ، وينظر : كتاب العين :٢١٣/٢ ، باب العين والدال والواو ، مادة (عدو) ،

٣٨. كتاب الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ١٩٩٨م : ١٠٢٣/١(فصل العين) .

٣٩. لسان العرب : ٣٥٦/٤، حرف الراء باب (سرر) ، وينظر معجم مقاييس اللغة : ٦٨٩.٦٧/٣ .

٤٠. مفردات ألفاظ القران : ٣٠٧/١ .

٤١. مفردات ألفاظ القرآن : ٨٧/١ .

٤٢. تفسير الكشاف للزمخشري : ٥١١/٤ . ٥١٢ ، ينظر : تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : ٢٥١/٨ ، وينظر : تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم لمزايا القران الكريم) ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ، ت٩٥١هـ ، دار إحياء التراث العربي . بيروت : ٢٣٥/٨ . ٢٣٦ .

٤٣. البحر المحيط : ٨/ ٢٥١.٢٥٢ ، وينظر : الكشاف للزمخشري : ٥١٢/٤ .

٤٤. البحر المحيط : ٨/ ٢٥٢.

٤٥. ينظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : ٢٥١/٨ ، وينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، ت٥٤٦هـ ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ٢٠٠١م : ٢٩٣/٥.

٤٦. سنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، بلا ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون : ٥٨٩/٤ ، رقم الحديث ٢٣٧٨ ، كتاب الزهد ، ينظر : شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٩٨٠م ، ط١ : ٥٥/٧ ، رقم الحديث ٩٤٣٦ ، الباب السادس والستون.

٤٧. شعب الإيمان : ٧٠/٧ ، رقم الحديث ٩٥١٣ ، الباب السادس والستون .

٤٨. مفاتيح الغيب : ٢٥٨/٢٩ .

٤٩. أحكام القرآن : أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، ت٥٤٣هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٣م : ٢٢٥/٤ .

٥٠. التحرير والتنوير : ٩٧/١ .

٥١. راجع الصفحات : ١١. ١٢ من البحث .

٥٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٨٥٤/١ ، وينظر : تفسير الكشاف للزمخشري : ٥١٢/٤ .

٥٣. مفاتيح الغيب : ١٠/٨. ١١ .

٥٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٢م : ٩٣/٢ .

٥٥. راجع الآية ٢٢ من سورة المجادلة .

٥٦. راجع الآيات : (٥١ . ٥٧ من سورة المائدة) ، (٧٢ . ٧٣ من سورة الأنفال) ، (٢٣ . ٢٤ ، ٧١ من سورة التوبة) ، (١٩ من سورة الجاثية) وغيرها من الآيات الكثيرة التي تصب في ذات الموضوع .

٥٧. ينظر : الجامع لأحكام القرآن المسمى (تفسير القرطبي) : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ت٤٧١هـ ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ١٩٨٥م : ٥٣/١٨ ،
٥٨. صحيح البخاري: ١٠٩٥/٣ ، حديث رقم ٢٨٤٥ ، باب الجاسوس .
٥٩. المصدر السابق : ٥/ ٢٣٠٩ ، حديث رقم ٥٩٠٤ ، كتاب الاستئذان .
٦٠. المصدر السابق : الحديث نفسه .
٦١. صحيح مسلم : ١٩٤٢/٤ ، حديث رقم ٢٤٩٥ ، باب فضائل أهل بدر رضي الله عنهم .
٦٢. أحكام القران لابن العربي ، ٤/ ٢٢٥ . ٢٢٧، ينظر : تفسير القرطبي ٥٢/١٨ـ٥٤ ، وينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري : محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي ، ٨٥٥هـ ، ملتقى أهل الحديث : ٤١/٢٢ باب الجاسوس ، وينظر : زاد المعاد في هدي خير العباد : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الرابعة عشرة ، ١٩٨٦م : ٣٧١/٣ كتاب الجهاد والمغازي ، باب جواز قتل الجاسوس .
٦٣. أحكام القرآن لابن العربي : ٢٢٥/٤.٢٢٧.
٦٤. التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية : محمد راكان الدغمي ، جمعية عمال المطابع التعاونية . عمان ، ١٩٨٤م : ص١٥٨ . ١٦٠ بتصرف .
٦٥. المصدر السابق ص١٥٨ـ١٦١، بتصرف ، وينظر : تفسير أحكام القران لابن العربي : ٥٣/١٨.
٦٦. مسند أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، مؤسسة قرطبة . القاهرة ، د ت : ٣٣٦/٤ ، رقم الحديث ١٨٩٨٥، وينظر : سنن البيهقي الكبرى : ابو بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز . مكة المكرمة ، ١٩٩٤م : ١٩٧/٨ ، حديث رقم ١٦٦٠٨ ، كتاب المرتد .
٦٧. ينظر : التجسس وأحكامه في الإسلام : ١٦٢.١٥٨، وينظر : تفسير القرطبي : ٥٣.٥٢/١٨ .
٦٨. صحيح البخاري : ٢٦٢/١٧ ، حديث رقم ٦٨٧٨ ، كتاب الجمعة .
٦٩. القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الأندلسي المتوفى سنة ٥٩٠ هجرية ، ينظر : ابراز المعاني من حرز الأماني : شرح الشاطبية : عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بأبي شامة ، ت٦٦٥هـ : ٣٣/٣ .